المحاضره الاولى (علم الاجتماع الصناعي .. نشأته وتطوره)

أولا : العوامل الممهده لظهور علم الاجتماع الصناعي :

يعتبر علم الاجتماع الصناعي بمفهومه العلمي من أحدث فروع علم الاجتماع ، نشأ في الولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثينيات من القرن العشرين ترتبط نشأته العلمية بتجربة (هاوثورن) التى تعتبر فتحا جديد في هذا الميدان .

فقد كشفت للمرة الأولى عن اهمية العلاقات الاجتماعية في الصناعة ووجهت الأنظار الى أن المصنع ليس مجرد وحدة انتاجية تؤدي وظيفة اقتصادية فحسب ، وإنما هو عبارة عن مجتمع متكامل يعيش ففيه الافراد كما يعيشون في المجتمع الكبير لا تدفعهم الى العمل مجرد الحوافز المادية أو الظروف الفيزيقية الملائمة وإنما تحركهم العلاقات والروابط الاجتماعية التى تنشأ وتنمو بينهم كما أوضحت ان العاملين في المجال الصناعي لا يسلكون سلوكا فرديا وإنما يتصرفون كأعضاء في جماعات لها معاييرها ونظمها الخاصة وقد جذب هذا الفرع الجديد منذ نشأته اهتمام الكثير من المشتغلين بعلم الاجتماع والانثروبولوجيا فأقبلوا عليه يدرسون موضوعاته ويحددون أبعاده وكان لجهودهم في هذا الميدان اثر كبير في ارساء دعائمه وبلورة مفاهيمه وتعميق أصوله .

ونعرض في هذا المجال للعوامل الممهدة لظهور العلم والمراحل التى مر بها منذ ان كانت الظواهر والمشكلات الصناعية تحتل جانبا من اهتمام الفلاسفة والمصلحين الاجتماعيين الى ان اصبحت هدفا للدراسة العلمية المنظمة ويمكن تحديد تلك العوامل فيما يلي :

١- الرغبة في ايجاد الحلول العلمية للمشكلات الاجتماعية في الصناعة : منذ ان حدثت الثورة الصناعية اتجه اصحاب المصانع الى الاهتمام بالآلات اللازمة للصناعة اكثر من اهتمامهم بتهيئة الظروف النفسية والاجتماعية للعاملين بالصناعة وكانت فلسفتهم الاجتماعية تستند الى نظرية (الأجر الحدى) التى تقول بأن العامل لا ينبغي أن يأخذ اجرا يزيد عن حد الكفاف ، وقد اتجه اصحاب المصانع الى تشغيل النساء والأطفال، لأن منافستهم للرجال كانت تؤدي الى انخفاض الأجور وبالتالي خفض تكاليف الانتاج .

ولم تكن هناك علاقة شخصية بين العمال وصاحب العمل ، فالعامل لا ينظر اليه إلا على انه وحدة منتجة ينبغي الاحتفاظ بها بأقل التكاليف الممكنة وإذا ما استهلكت قواه استبدله صاحب العمل بعامل اخر .

وكان العمال من ناحيتهم يشعرون بأن اصحاب المصانع لا ينظرون اليهم نظرة انسانية ، و يستغلونهم أسوأ استغلال فكان من الطبيعي ان تكثر اصابات العمل وتتفشى ظاهرة الغياب بينهم .

وقد شعر بعض المفكرين الاجتماعيين بهذا الوضع ، فبدؤوا يلتفتون الى الجوانب الاجتماعية للمشكلات القائمة ويطالبون بضرورة الاهتمام بالعنصر البشرى الى جانب العنصر المادي في الانتاج .

غير أن اصحاب المصانع كانوا يعارضون حركات الاصلاح ويقفون في مواجهتها ولا يظهرون أدنى اهتمام بالعامل أو بمشكلاته داخل المجتمع وظلت الأمور على هذا المنوال حتى بداية القرن العشرين ، حيث بدأت هذه النظرة تتغير بادراك أصحاب الأعمال لأهمية العنصر البشرى وجعلوا يشجعون الباحثين على دراسة المؤسسات الصناعية حتى يمكن الاستفادة بالنتائج التى يتوصلون اليها في تهيئة الظروف المادية والاجتماعية التى تساعد على زيادة الانتاج مع مراعاة راحة العامل ورفع مستواه الاجتماعي .

وعلى الرغم من أن البدايات الأولى لعلم الاجتماع الصناعي ارتبطت بالجوانب التطبيقية الا ان علماء الاجتماع لم يقفوا عند هذا الحد بل وسعوا دائرة ابحاثهم ودراستهم بحيث شملت التنظيمات الاجتماعية السائدة في الصناعة ، والعلاقات المتبادلة بينها وبين كل من المدينة والمجتمع العام .

٢- تقدم علم الاجتماع : في الوقت التى اصبحت فيه الحاجة ماسة الى دراسة الظواهر والمشكلات والتنظيمات الاجتماعية في الصناعة ، كان علم الاجتماع قد بلغ درجة من النمو التى تؤهله لدراسة تلك المسائل دراسة علمية صحيحة .

فحتى في مستهل القرن العشرين كان أغلب علماء الاجتماع يهتمون بدراسة المشكلات الاجتماعية الخاصة كمشكلات الأسرة والزواج وانحراف الاحداث والجريمة والعقاب أو بدراسة المسائل والمشاكل ذات الصبغة التاريخية أو الفلسفية ، فعلماء الاجتماع الفرنسيون مثلا – وهم الذين يرجع لهم الفضل في ارساء دعائم العلم - كانوا يعالجون الأشكال العامة للحياة كأشكال الحكم والدين ونظم القرابة والزواج وأنماط الحياة الاقتصادية في كافة المجتمعات ، كما نجد المفكرين الانجليز والفرنسيين شغلوا انفسهم بجدل طويل حول العلاقة بين الفرد والمجتمع والأسبقية التى يمكن ان تعطي لأحدهما على الاخر .

غير انه في بداية هذا القرن بدأ العلماء الأوربيون والأمريكيون بوجه خاص يبتعدون عن دراسة الموضوعات العريضة ذات الطابع الفلسفي ويتجهون الى استخدام المنهج العلمي للوصول الى حقائق موضوعية تتعلق بجوانب محدودة من جوانب الحياة الاجتماعية ولذا كان أمر طبيعي ان يتجه تفكيرهم الى دراسة الصناعة ، وما يرتبط بها من ظواهر ، وما يترتب عليها من اثار ، باستخدام المبادئ والمفاهيم الاساسية لعلم الاجتماع .

ومما هو جدير بالذكر انه في خلال تلك الفترة كان علماء النفس الصناعي وعلماء الاقتصاد قد اتجهوا بدورهم الى عالم الصناعة ، يدرسون ظواهره ، ويعالجون مشكلاته ، مما دعا البعض الى التشكيك في قيمة الدور الذى يمكن لعلم الاجتماع أن يؤديه ، غير أن من المعروف أن الظواهر والموضوعات التى يهتم بها علم الاجتماع غير تلك التى يهتم بها علم النفس والاقتصاد .

وقد استطاع علم الاجتماع الصناعي أن يشق طريقه بنجاح خلال فترة قصيرة من الزمان ، وأن يساهم مساهمة ايجابية مع غيره من العلوم الاجتماعية في دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية المصاحبة للمجتمع للتصنيع ، وأن يقدم كثيرا من الاضافات العلمية في هذا المجال .

ثانيا : مراحل تطور علم الاجتماع الصناعي :

١- مرحله التفكير الفلسفي : ترتب على عملية التصنيع وما ارتبط بها من مشكلات ومساوئ لحقت بالعاملين في الصناعة أن ظهر تياران فكريان متعارضان :

التيار الأول : يحاول تبرير الأوضاع الاجتماعية القائمة ويعمل على الابقاء عليها وكان يمثل هذا التيار المفكرون من اتباع مدرسة دارون الاجتماعية التى تقوم على أساس التنافس والصراع ، وتنازع البقاء وبقاء الأنسب ، وكان من رأى كثيرين من اتباع هذه المدرسة أن مبدأ (عدم المساواة) مبدأ طبيعي ليس للإنسان الا ان يمتثل له كما ان التفاوت في الأرزاق مهما كان كبيرا أمرا ينبغي التسليم به وفى ذلك يقول هربرت سبنسر ((لكل انسان الحق في المحافظة على حياته ، لكن بما انه كتب على اصلح الناس البقاء وعلى غيرهم الفناء فيجب أن يكون الناس احرارا كي ينافس بعضهم بعضا ، وكى يثبتوا صلاحيتهم للبقاء)) ويقول تشارلز دونييه وهو من المفكرين الرأسماليين ((ان العمال مسئولون عن بؤسهم ، وهو بؤس نافع على أي حال)) ، وكانت هذه الافكار الغريبة تمثل مشكلة الانسان في ظل المجتمع الرأسمالي .

التيار الثاني : وهو تيار ذو نزعة نقدية اصلاحية يشن الحملات على حضارة العصر الصناعي ويدعو الى استبدال الأوضاع السيئة بأوضاع أخرى تحقق العدالة بين الناس وتقضي على الظلم الذى تشكو منه الطبقة العاملة ، وكان يمثله المفكرون الاشتراكيون من أمثال (سيسموندي ، سان سيمون) الذين حملوا لواء الدعوة الى ضرورة القضاء على مساوئ النظام الصناعي الرأسمالي، وضرورة الاهتمام بالعنصر البشري ورفع مستوى الرفاهية المادية عند الأفراد ، وقد تعددت وجهات نظر هؤلاء المفكرين وان كانت تلتقى عند ضرورة استبدال الأوضاع السائدة بأوضاع أخري أحسن منها .

فسيسموندى مثلا (١٧٧٣-١٨٤٢م) كان يدعو الى العودة الى نظام الورش الصغيرة ، وتوزيع حقوق الملكية بين أكبر عدد ممكن من صغار الرأسماليين .

وكان سان سيمون (١٧٦٠-١٨٢٥) يطالب برفع مستوي الرفاهية المادية لأفراد الطبقة العاملة فيقول في كتابه (النظام الصناعي) (ان هدفي الأول هو العمل قدر الطاقة على تحسين مصير الطبقة التى لا تملك من وسائل العيش سوى ذراعيها)

ويلاحظ أن غالبية الكتابات في هذه المرحلة قد ارتبطت بالكتابات الفلسفية والاقتصادية ، وانها كانت تعبر عن رغبات اصحابها ، وتستهدف بيان ما ينبغي أن يكون أكثر مما تستهدف دراسة الوقائع الموجودة فعليا ، ولذا يمكن اعتبارها دعوات اصلاحية أكثر مما هي محاولات علمية .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان لها فضل كبير في توجيه الأنظار الى ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية المصاحبة للتصنيع باستخدام الأسلوب العلمي .

٢- مرحله الدراسه ذات الطابع العملي الاصلاحي : اتجه المفكرون في هذه المرحلة الى اجراء بعض البحوث الاجتماعية التى تستهدف دراسة المشكلات الصناعية في بيئات محدودة باستخدام المنهج العلمي بعد ان كانوا في المرحلة السابقة يعالجون المشكلات العامة ذاتا الطابع الفلسفي ، غير ان أغلب البحوث التى اجريت في تلك الفترة كانت تتجه وجهه علمية تطبيقية أكثر مما تستهدف الحصول على معارف جديدة يمكن الاستفادة بها في المجالين النظري والتطبيقي .

من بين تلك البحوث ما قام به فردريك لوبلي في فرنسا ، وتشارلز بوث في انجلترا ، وبول كيلوج في الولايات المتحدة

قام فردريك لوبلي (١٨٠٦-١٨٨٢) بدراسة عن أسر العمال الأوربيين استغرقت حوالى عشرين عاما، جمع فيها كثيرا من البيانات من آلاف الأسر عن مصادر الدخل في الأسر ، ومصادر الانفاق ونظام المعيشة ثم اختار بعض هذه الأسر ليدرسها دراسة متعمقة، وتوصل الى نتائج هامة وقد نشرت تلك الدراسة لأول مرة في باريس سنة ١٨٨٥م تحت عنوان (العمال الأوربيون) ، وفى عام ١٨٦٤ نشر كتابا جديد تحت عنوان (الاصلاح الاجتماعي في فرنسا) تقدم فيه بمقترحات عملية لإصلاح الأوضاع السيئة للعمال الفرنسيين .

وقد قام تشارلز بوث (١٨٤٠-١٩١٦) بدراسة العلاقات المتبادلة بين الصناعة وببقية الانساق الاجتماعية ، كما درس العلاقة القائمة بين الصناعة والمجتمع، فاختار الجانب الشرقي من مدينة لندن وأجري فيه بحثه المشهور عن الحياة والعمل ، واستعان بعدد كبير من الباحثين الاجتماعيين والاقتصاديين المشهورين ليساعدوه في جمع البيانات ، وقد نشر النتائج التى توصل اليها في كتاب تحت عنوان (حياة وأعمال الناس في لندن) .

وفى هذا الكتاب حاول بوث أن يصف تأثير الصناعة على الحياة الاجتماعية ، وتطرق الى دراسة كل الأعمال التى ارتبطت بالصناعة بطريق مباشر أو غير مباشر .

اما بول كيلوج فقد اجري بحثا في مدينة بتسبرج نشر سنة ١٩١٤م وقد اهتم بدراسة الأحوال الاجتماعية للعمال الذين يشتغلون في صناعة الصلب سواء داخل المصانع أو خارجها ، وقد كان لدراسته أثر كبير في محاولات الاصلاح الاجتماعي بالمدينة .

والى جانب البحوث التى ذكرناها قام عدد اخر من الباحثين في اوربا والولايات المتحدة بإجراء بحوث متفرقة في الميدان الصناعي ، غير ان تلك البحوث كان يغلب عليها الاتجاه العملي أكثر من الاتجاه النظري وقد مهدت تلك الفترة لظهور المرحلة الثالثة التى نشأ فيها العلم نشأته العلمية .

٣- مرحله الدراسه العلميه المنظمه : يعتبر المفكرون الاجتماعيون التجربة التي أجراها التون مايو وأعوانه من الباحثين الاجتماعيين في مصنع هاوثورن فيما بين ١٩٢٧- ١٩٣٢ م نقطة البدء الحقيقة لعلم الاجتماع الصناعي بمفهومة العلمي الحديث .

فقد كشفت لأول مرة عن أهمية التنظيمات غير الرسمية في محيط العمل الصناعي ، وأظهرت أن معدلات الانتاج لا تتأثر بالظروف الفيزيقية وحدها ، أو بطول ساعات العمل اليومي والأسبوعي فقط ، و أنما تتأثر بما يسود بيئة العمل من علاقات و روابط اجتماعية .

وقد اجريت محاولة التون مايو (Elton Mayo) وأعوانه في شركة وسترن إليكتريك (Western Electric) بمصنع (Hawthorne) بمدينة شيكاغو أولى المحاولات المكثفة لدراسة أثر العوامل المادية للعمل على الكفاية الإنتاجية للعاملين .

وقد بدأت هذه التجارب بمحاولة ترمي إلى اختبار العلاقة بين كثافة الإضاءة والكفاية الإنتاجية للعاملين وجاءت النتائج غير متوقعة، مؤكدة وجود متغير جديد وهو الروح المعنوية للعمال ودرجة الانسجام والوئام القائمين بين المجموعة العاملة ولذا أجريت تجربة أخرى على متغير آخر ترمي إلى اختبار أثر الراحات ومدتها على الكفاية والإنتاجية، فتكررت النتائج غير المتوقعة التي تؤكد تأثر الإنتاجية أساساً بالحالة المعنوية للعمال .

فأجريت تجربة ثالثة لاختبار أثر تغيير طريقة دفع الأجور على الكفاية الإنتاجية وتكررت النتائج غير المتوقعة والتي تؤكد أن الإنتاجية ترتبط إيجابياً بالظروف الاجتماعية والنفسية للعاملين أكثر مما ترتبط بالتغييرات المادية التي تدخل على ظروف وأحوال العمال وقد توصلت تجارب هاوثورن إلى النتائج التالية :

١- ميل الافراد العاملين في وحده انتاجيه واحده الى تكوين تنظيمات غير رسميه فيما بينهم .

٢- تاثر تصرفات الافراد داخل التنظيم بالاطار الذي ترسمه لهم الجماعه .

٣- ان الحوافز المعنويه تقوم بدور حيوي في تحفيز الافراد للعمل .

٤- ان طاقه الفرد للعمل لاتتحدد طبقا لطاقته الفسيولوجيه وانما ايضا طبقا لطاقته الاجتماعيه من حيث شعوره بالرضا والتفاهم القائم بينه وبين رؤساته من ناحيه ودرجه التعاون مع زملائه في العمل من ناحيه اخرى .

٥- دور القياده غير الرسميه في التاثير على سلوك الافراد داخل التنظيم من حيث تكوين الجماعات ونمط العلاقات بينهم .

ولذا فليس من المغالاة في شيء أن نعتبر ان تلك التجربة بما أسفرت عنه من نتائج علمية هي نقطة البداية لعلم الاجتماع الصناعي .

٤- التطور التاريخي لعلم الاجتماع الصناعي بعد تجربه هاوثورن : قام التون مايو بتجارب اخري بعد تجربته في مصنع هاوثورن وقد أكدت بحوثه التالية أهمية الجماعات غير الرسمية في محيط العمل حي قام بـتجربة (حجرة بنك الأسلاك) واعتمدت هذه التجربة على زيادة الأجور بزيادة الانتاج الا ان الانتاج لم يزيد أو يقل عن عدد معين من الوحدات التى كان يتفق عليها العمال فيما بينهم واستخلص التون مايو من هذا البحث نتيجتين هما :

١- ليست هناك مجموعة من الناس يمكن أن يكون بين أعضائها اتصال لفترة من الزمن مهما كان طولها دون ان تتكون فيها مثل هذه التجمعات غير الرسمية ، ودون أن يظهر فيها قادة طبيعيون يصلون للقمة .

٢- من العبث العمل على تفكيك تلك التجمعات ومن الحكمة التوفيق بين اهتمامات العمال والإدارة بحيث تعمل مجموعة الجماعات غير الرسمية التى يتكون منها المصنع على تحقيق نفس الأهداف بدلا من أن يحدث تعارض وتناقض بينهما.

وفى بحث اخر اجراه التون مايو في سنة ١٩٤٣ في ثلاثة مصانع للأعمال المعدنية اتضح انه من الممكن ان تتعاون الجماعات غير الرسمية مع الادارة لرفع الإنتاج ، ففي أحد اقسام الصب لاحظ التون مايو انخفاض معدل الغياب ، وقد ارجع ذلك الى ان القسم كانت تسوده روح جماعية طيبة ، وكانت معايير الجماعة تحض العمال على عدم التغيب عن العمل .

وقد ساعدت على تدعيم هذه الروح الجماعية بعض السياسات الادارية الحكيمة منها تدريب المشرفين على المحافظة على كرامة العمال وخلق علاقات طيبة معهم ، ومن ناحية اخرى تركت الادارة أمر تقرير الاجازات الاسبوعية للعمال أنفسهم وبالتالي اصبح تخلف أي عامل عن العمل في يوم غير المخصص له ضارا بعامل اخر يريد القيام بإجازته في نفس اليوم ومن هنا يأتي الضبط من داخل الجماعة ذاتها لمنع الغياب .

وفى بحث اخر اجراه في أحد مصانع الطائرات في جنوب كاليفورنيا في سنة ١٩٤٤ م عن مشكلات التغيب ودوران العمل ، اتضح أن هناك أنواعا ثلاثة من الادارات لم تكن تشكو من وجود مشكلات بها ، وهذه الانواع هي :

١- جماعات العمل الصغيرة جدا ، حيث يودي الاتصال القوي بين العمال الى ذوبان جميع الافراد في مجموعة واحدة تسهم في استقراهم .

٢- الجماعات الكبيرة التى تخضع لنفوذ بعض الأفراد ذوى الرغبة القوية في العمل فقد كان هؤلاء يضربون المثل الأعلى لغيرهم بالانتظام في العمل ، وبهذا يقل الدافع الى التغيب .

٣- الجماعة التى تعمل الادارة عامدة على انماء روح الفريق بين أفرادها .

وقد عبر التون مايو عن اقتناعه بان ظاهرة ارتفاع الانتاجية ، وتحسن الروح المعنوية للعمال لشعورهم بالانتماء الى جماعة واحدة، ليست قاصرة على المصانع التى قامت بدراستها ، بل هي ظاهرة عامة تسود المجتمعات كافة .

ومن هنا بدأت افكاره تأخذ طابع الفلسفة الاجتماعية التى ترى ان المجتمع الصناعي الحديث أداة لإنتاج البؤس والتعاسة ، لأنه يقوم على نظام يجعل العمال متفرقين لا تربطهم أي روابط ولا يحفزهم سوى الدافع الاقتصادي والمصلحة الذاتية .

ولقد وضعت دراسات التون مايو الأساس لنظرية (العلاقات الانسانية في الصناعة) وكان لها تأثير كبير في توجيه مجرى البحوث الميدانية والدراسات النظرية في المجال الصناعي ، ولئن كان هناك جدل حول صحة التفسيرات التى ذهب اليها الا ان من المتفق عليه انه كان اول من ارتاد هذا الميدان ، وقد أدت دراساته الى سلسله اخرى من البحوث والدراسات التى اجريت في أماكن اخري، وتحت أشراف باحثين آخرين ، الا انها كانت تستلهم افكاره ، وتسير على النهج الذى سار عليه في كثير من الأحيان .

ومن الباحثين الذين ساهموا في دراسة العلاقات الانسانية في الصناعة (لوريد وارنر) عالم الانثروبولوجيا الاجتماعية المعروف بدراسته المشهورة في (يانكى سيتى) فقد عمل مستشارا لمشروع الدراسة التى قامت به شركة الكهرباء الغربية (الويسترن اليكتريك) ويرجع اليه الفض في توجيه انظار الباحثين الى دراسة التنظيم الاجتماعى في (حجرة بنك الأسلاك) وقد كشفت هذه الدراسة عن الطريقة التى تنشأ بها الجماعات غير الرسمية في محيط العمل ، كما أظهرت أن العمال يلتزمون بالمعايير التى تحددها الجماعات التى ينتمون اليها أكثر من التزامهم بالتعليمات التى تصدرها الشركة .

وقد حدث أثناء قيام بدراسته في (يانكى سيتى) أن اضرب عمال صناعة الاحذية ، فاتجه الى دراسة (النسق الاجتماعي للمصنع الحديث) للتعرف على الأسباب التى أدت الى قيام الاضراب ، واستعان بعدد كبير من الباحثين الأنثروبولوجيين الذين استطاعوا الحصول على بيانات متعمقة عن مشكلات العمال وعن أثر التكنولوجيا الحديثة في تغيير المكانات الاجتماعية داخل المصنع ، وعن مركز المصنع في المجتمع المحلى ، وعن العلاقات المتبادلة بينهما .

وقد قدم تفسيرات هامة عن العوامل التى أدت الى حدوث الاضراب في ضوء التغيرات التى حدثت في البناء الاجتماعي لكل من المصنع والمجتمع المحلي .

ومن بين علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية الذين ارتادوا ميدان الصناعة (اليوت شابل) و (كرنراد ارنزبرج) فقد صمم اليوت شابل نموذجا لقياس العلاقات الشخصية المتبادلة بين الافراد أطلق عليه (مرسمة التفاعل) ، كما اشترك ارنزبرج

مع (دوجلاس ماكجروجر) في دراسة عن الروح المعنوية وعلاقتها بالتنظيم الاجتماعي في شركة كهربائية ، ونشرت نتائج هذه الدراسة في مجلة الأنثروبولوجيا التطبيقية ، ثم قام ارنزبرج بدراسة قيمة عن (الصناعة والمجتمع) نشرت في المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع عام ١٩٤٢م .

وقد قام (وايت بيك) استاذ الاجتماع في جامعة بيل بدراستين عن مشكلات العمال المتعطلين ، احدهما في انجلترا والأخرى في نيوهافن واكتشف ان وظيفة الانسان ليست مجرد وسيلة لكسب العيش وانما هي وسيلة لتحقيق اشباعات نفسية واجتماعية ، وقد وجه بحوثه بعد ذلك الى اكتشاف معنى العمل بالنسبة للعامل .

وفى سنة ١٩٤٣ كون (جاردنر) و(هافيجهرست) و (لويد وارنر) جمعية العلاقات الانسانية في الصناعة بجامعة شيكاغو وقد اتسعت دائرة نشاط الجمعية وانضم اليها عدد كبير من العلماء نذكر منهم (افرت هيوز) وجورج براون) .

وفى عام ١٩٤٦ أنشأ (رنسيس ليكيرت) عالم النفس الاجتماعى – معهدا للبحوث الاجتماعية في جامعة (ميتشيجن) وبالرغم من أن المعهد اجري عددا كبيرا من البحوث خارج الميدان الصناعي الا انه كان يمول كثيرا من البحوث والدراسات التى تجرى في المجال الصناعي، وقد استخدم المعهد عدة مناهج للبحث كان من بينها منهج المسح الاجتماعي والمنهج التجريبي، كما استخدم الاستفتاءات في جمع البيانات من الميدان .

وبالإضافة الى مراكز البحوث، اهتمت الجامعات الامريكية بتدريس مادتي علم الاجتماع الصناعي والعلاقات الصناعية ويقرر هذه الحقيقة (هوايت وميللر) بقولهما :

اذا نظرنا الى التطور الذى حدث لمادة علم الاجتماع الصناعي ، فإننا نجد انه منذ عشرين عاما خلت لم تكن المادة تدرس فلى أغلب الجامعات ، اما الان فأن من النادر ان تخلو منها مناهج الدراسة في أي قسم من اقسام علم الاجتماع كذلك الحال بالنسبة لمادة العلاقات الصناعية التى اصبحت تحظي باهتمام كبير من جانب المتخصصين في الاجتماع والانثروبولوجيا ، وعلم النفس والسياسة والاقتصاد .

يتضح من العرض السابق أن علم الاجتماع الصناعي- على الرغم من حداثة نشأته العلمية قد نما نموا سريعا خلال فترة قصيرة من الزمن بحيث اصبح من أهم فروع الدراسة في اقسام علم الاجتماع في مختلف جامعات العالم كما اصبحت موضوعاته هدفا لكثير من البحوث والدراسات التى ساعدت – الى حد كبير - على بلورة مفاهيمه وتحديد أبعاده وتعميق أصوله النظرية .

اسئلة المحاضره الاولى

السؤال الاول : تحدثي / تحدث بالتفصيل عن العوامل الممهدة لظهور علم الاجتماع الصناعي ؟

أولا : العوامل الممهده لظهور علم الاجتماع الصناعي :

يعتبر علم الاجتماع الصناعي بمفهومه العلمي من أحدث فروع علم الاجتماع ، نشأ في الولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثينيات من القرن العشرين ترتبط نشأته العلمية بتجربة (هاوثورن) التى تعتبر فتحا جديد في هذا الميدان .

فقد كشفت للمرة الأولى عن اهمية العلاقات الاجتماعية في الصناعة ووجهت الأنظار الى أن المصنع ليس مجرد وحدة انتاجية تؤدي وظيفة اقتصادية فحسب ، وانما هو عبارة عن مجتمع متكامل يعيش ففيه الافراد كما يعيشون في المجتمع الكبير لا تدفعهم الى العمل مجرد الحوافز المادية أو الظروف الفيزيقية الملائمة وانما تحركهم العلاقات والروابط الاجتماعية التى تنشأ وتنمو بينهم كما أوضحت ان العاملين في المجال الصناعي لا يسلكون سلوكا فرديا وانما يتصرفون كأعضاء في جماعات لها معاييرها ونظمها الخاصة وقد جذب هذا الفرع الجديد منذ نشأته اهتمام الكثير من المشتغلين بعلم الاجتماع والانثروبولوجيا فأقبلوا عليه يدرسون موضوعاته ويحددون أبعاده وكان لجهودهم في هذا الميدان اثر كبير في ارساء دعائمه وبلورة مفاهيمه وتعميق أصوله .

ونعرض في هذا المجال للعوامل الممهدة لظهور العلم والمراحل التى مر بها منذ ان كانت الظواهر والمشكلات الصناعية تحتل جانبا من اهتمام الفلاسفة والمصلحين الاجتماعيين الى ان اصبحت هدفا للدراسة العلمية المنظمة ويمكن تحديد تلك العوامل فيما يلي :

١- الرغبة في ايجاد الحلول العلمية للمشكلات الاجتماعية في الصناعة : منذ ان حدثت الثورة الصناعية اتجه اصحاب المصانع الى الاهتمام بالآلات اللازمة للصناعة اكثر من اهتمامهم بتهيئة الظروف النفسية والاجتماعية للعاملين بالصناعة وكانت فلسفتهم الاجتماعية تستند الى نظرية (الأجر الحدى) التى تقول بأن العامل لا ينبغي أن يأخذ اجرا يزيد عن حد الكفاف ، وقد اتجه اصحاب المصانع الى تشغيل النساء والأطفال، لأن منافستهم للرجال كانت تؤدي الى انخفاض الأجور وبالتالي خفض تكاليف الانتاج .

ولم تكن هناك علاقة شخصية بين العمال وصاحب العمل ، فالعامل لا ينظر اليه إلا على انه وحدة منتجة ينبغي الاحتفاظ بها بأقل التكاليف الممكنة وإذا ما استهلكت قواه استبدله صاحب العمل بعامل اخر وكان العمال من ناحيتهم يشعرون بأن اصحاب المصانع لا ينظرون اليهم نظرة انسانية ، و يستغلونهم أسوأ استغلال فكان من الطبيعي ان تكثر اصابات العمل وتتفشى ظاهرة الغياب بينهم وقد شعر بعض المفكرين الاجتماعيين بهذا الوضع ، فبدأوا يلتفتون الى الجوانب الاجتماعية للمشكلات القائمة ويطالبون بضرورة الاهتمام بالعنصر البشرى الى جانب العنصر المادي في الانتاج غير أن اصحاب المصانع كانوا يعارضون حركات الاصلاح ويقفون في مواجهتها ولا يظهرون أدنى اهتمام بالعامل أو بمشكلاته داخل المجتمع وظلت الأمور على هذا المنوال حتى بداية القرن العشرين ، حيث بدأت هذه النظرة تتغير بادراك أصحاب الأعمال لأهمية العنصر البشرى وجعلوا يشجعون الباحثين على دراسة المؤسسات الصناعية حتى يمكن الاستفادة بالنتائج التى يتوصلون اليها في تهيئة الظروف المادية والاجتماعية التى تساعد على زيادة الانتاج مع مراعاة راحة العامل ورفع مستواه الاجتماعي وعلى الرغم من أن البدايات الأولى لعلم الاجتماع الصناعي ارتبطت بالجوانب التطبيقية الا ان علماء الاجتماع لم يقفوا عند هذا الحد بل وسعوا دائرة ابحاثهم ودراستهم بحيث شملت التنظيمات الاجتماعية السائدة في الصناعة ، والعلاقات المتبادلة بينها وبين كل من المدينة والمجتمع العام .

٢- تقدم علم الاجتماع : في الوقت التى اصبحت فيه الحاجة ماسة الى دراسة الظواهر والمشكلات والتنظيمات الاجتماعية في الصناعة ، كان علم الاجتماع قد بلغ درجة من النمو التى تؤهله لدراسة تلك المسائل دراسة علمية صحيحة .

فحتى في مستهل القرن العشرين كان أغلب علماء الاجتماع يهتمون بدراسة المشكلات الاجتماعية الخاصة كمشكلات الأسرة والزواج وانحراف الاحداث والجريمة والعقاب أو بدراسة المسائل والمشاكل ذات الصبغة التاريخية أو الفلسفية، فعلماء الاجتماع الفرنسيون مثلا – وهم الذين يرجع لهم الفضل في ارساء دعائم العلم - كانوا يعالجون الأشكال العامة للحياة كأشكال الحكم والدين ونظم القرابة والزواج وأنماط الحياة الاقتصادية في كافة المجتمعات، كما نجد المفكرين الانجليز والفرنسيين شغلوا انفسهم بجدل طويل حول العلاقة بين الفرد والمجتمع والأسبقية التى يمكن ان تعطي لأحدهما على الاخر غير انه في بداية هذا القرن بدأ العلماء الأوربيون والأمريكيون بوجه خاص يبتعدون عن دراسة الموضوعات العريضة ذات الطابع الفلسفي ويتجهون الى استخدام المنهج العلمي للوصول الى حقائق موضوعية تتعلق بجوانب محدودة من جوانب الحياة الاجتماعية ولذا كان أمر طبيعي ان يتجه تفكيرهم الى دراسة الصناعة ، وما يرتبط بها من ظواهر ، وما يترتب عليها من اثار ، باستخدام المبادئ والمفاهيم الاساسية لعلم الاجتماع ومما هو جدير بالذكر انه في خلال تلك الفترة كان علماء النفس الصناعي وعلماء الاقتصاد قد اتجهوا بدورهم الى عالم الصناعة ، يدرسون ظواهره ، ويعالجون مشكلاته ، مما دعا البعض الى التشكيك في قيمة الدور الذى يمكن لعلم الاجتماع أن يؤديه ، غير أن من المعروف أن الظواهر والموضوعات التى يهتم بها علم الاجتماع غير تلك التى يهتم بها علم النفس والاقتصاد .

السؤال الثاني : (يعتبر المفكرون الاجتماعيون تجربة مصنع هاوثورن التي أجراها (التون مايو) وأعوانه فيما بين ١٩٢٧- ١٩٣٢ م نقطة البدء الحقيقة لعلم الاجتماع الصناعي بمفهومة العلمي الحديث) اشرحى / اشرحى العبارة السابقة في ضوء دراستك لمراحل تطور علم الاجتماع الصناعي ؟

ثانيا : مراحل تطور علم الاجتماع الصناعي :

١- مرحله التفكير الفلسفي : ترتب على عملية التصنيع وما ارتبط بها من مشكلات ومساوئ لحقت بالعاملين في الصناعة أن ظهر تياران فكريان متعارضان :

التيار الأول : يحاول تبرير الأوضاع الاجتماعية القائمة ويعمل على الابقاء عليها ... وكان يمثل هذا التيار المفكرون من اتباع مدرسة دارون الاجتماعية التى تقوم على أساس التنافس والصراع ، وتنازع البقاء وبقاء الأنسب ، وكان من رأى كثيرين من اتباع هذه المدرسة أن مبدأ (عدم المساواة) مبدأ طبيعي ليس للإنسان الا ان يمتثل له كما ان التفاوت في الأرزاق مهما كان كبيرا أمرا ينبغي التسليم به، وفى ذلك يقول هربرت سبنسر ((لكل انسان الحق في المحافظة على حياته ، لكن بما انه كتب على اصلح الناس البقاء وعلى غيرهم الفناء فيجب أن يكون الناس احرارا كي ينافس بعضهم بعضا ، وكى يثبتوا صلاحيتهم للبقاء)) ويقول تشارلز دونييه وهو من المفكرين الرأسماليين ((ان العمال مسئولون عن بؤسهم ، وهو بؤس نافع على أي حال)) ، وكانت هذه الافكار الغريبة تمثل مشكلة الانسان في ظل المجتمع الرأسمالي .

التيار الثاني : وهو تيار ذو نزعة نقدية اصلاحية يشن الحملات على حضارة العصر الصناعي ويدعو الى استبدال الأوضاع السيئة بأوضاع أخرى تحقق العدالة بين الناس وتقضي على الظلم الذى تشكو منه الطبقة العاملة ، وكان يمثله المفكرون الاشتراكيون من أمثال(سيسموندي ، سان سيمون) الذين حملوا لواء الدعوة الى ضرورة القضاء على مساوئ النظام الصناعي الرأسمالي، وضرورة الاهتمام بالعنصر البشري ورفع مستوى الرفاهية المادية عند الأفراد ، وقد تعددت وجهات نظر هؤلاء المفكرين وان كانت تلتقى عند ضرورة استبدال الأوضاع السائدة بأوضاع أخري أحسن منها .

فسيسموندى مثلا (١٧٧٣-١٨٤٢م) كان يدعو الى العودة الى نظام الورش الصغيرة ، وتوزيع حقوق الملكية بين أكبر عدد ممكن من صغار الرأسماليين وكان سان سيمون (١٧٦٠-١٨٢٥) يطالب برفع مستوي الرفاهية المادية لأفراد الطبقة العاملة فيقول في كتابه (النظام الصناعي) (ان هدفي الأول هو العمل قدر الطاقة على تحسين مصير الطبقة التى لا تملك من وسائل العيش سوى ذراعيها) ويلاحظ أن غالبية الكتابات في هذه المرحلة قد ارتبطت بالكتابات الفلسفية والاقتصادية ، وإنها كانت تعبر عن رغبات اصحابها ، وتستهدف بيان ما ينبغي أن يكون أكثر مما تستهدف دراسة الوقائع الموجودة فعليا ، ولذا يمكن اعتبارها دعوات اصلاحية أكثر مما هي محاولات علمية وعلى الرغم من ذلك فقد كان لها فضل كبير في توجيه الأنظار الى ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية المصاحبة للتصنيع باستخدام الأسلوب العلمي .

٢- مرحله الدراسة ذات الطابع العملي الاصلاحي : اتجه المفكرون في هذه المرحلة الى اجراء بعض البحوث الاجتماعية التى تستهدف دراسة المشكلات الصناعية في بيئات محدودة باستخدام المنهج العلمي بعد ان كانوا في المرحلة السابقة يعالجون المشكلات العامة ذاتا الطابع الفلسفي ، غير ان أغلب البحوث التى اجريت في تلك الفترة كانت تتجه وجهه علمية تطبيقية أكثر مما تستهدف الحصول على معارف جديدة يمكن الاستفادة بها في المجالين النظري والتطبيقي .

من بين تلك البحوث ما قام به فردريك لوبلي في فرنسا ، وتشارلز بوث في انجلترا، وبول كيلوج في الولايات المتحدة قام فردريك لوبلي (١٨٠٦-١٨٨٢) بدراسة عن أسر العمال الأوربيين استغرقت حوالى عشرين عاما، جمع فيها كثيرا من البيانات من آلاف الأسر عن مصادر الدخل في الأسر ، ومصادر الانفاق ونظام المعيشة ثم اختار بعض هذه الأسر ليدرسها دراسة متعمقة، وتوصل الى نتائج هامة وقد نشرت تلك الدراسة لأول مرة في باريس سنة ١٨٨٥م تحت عنوان (العمال الأوربيون) ، وفى عام ١٨٦٤ نشر كتابا جديد تحت عنوان (الاصلاح الاجتماعي في فرنسا) تقدم فيه بمقترحات عملية لإصلاح الأوضاع السيئة للعمال الفرنسيين .

وقد قام تشارلز بوث (١٨٤٠-١٩١٦) بدراسة العلاقات المتبادلة بين الصناعة وببقية الانساق الاجتماعية ، كما درس العلاقة القائمة بين الصناعة والمجتمع، فاختار الجانب الشرقي من مدينة لندن وأجري فيه بحثه

المشهور عن الحياة والعمل ، واستعان بعدد كبير من الباحثين الاجتماعيين والاقتصاديين المشهورين ليساعدوه في جمع البيانات ، وقد نشر النتائج التى توصل اليها في كتاب تحت عنوان (حياة وأعمال الناس في لندن) وفى هذا الكتاب حاول بوث أن يصف تأثير الصناعة على الحياة الاجتماعية ، وتطرق الى دراسة كل الأعمال التى ارتبطت بالصناعة بطريق مباشر أو غير مباشر .

اما بول كيلوج فقد اجري بحثا في مدينة بتسبرج نشر سنة ١٩١٤م وقد اهتم بدراسة الأحوال الاجتماعية للعمال الذين يشتغلون في صناعة الصلب سواء داخل المصانع أو خارجها ، وقد كان لدراسته أثر كبير في محاولات الاصلاح الاجتماعي بالمدينة والى جانب البحوث التى ذكرناها قام عدد اخر من الباحثين في اوربا والولايات المتحدة بإجراء بحوث متفرقة في الميدان الصناعي ، غير ان تلك البحوث كان يغلب عليها الاتجاه العملي أكثر من الاتجاه النظري وقد مهدت تلك الفترة لظهور المرحلة الثالثة التى نشأ فيها العلم نشأته العلمية .

٣- مرحله الدراسه العلميه المنظمه : يعتبر المفكرون الاجتماعيون التجربة التي أجراها التون مايو وأعوانه من الباحثين الاجتماعيين في مصنع هاوثورن فيما بين ١٩٢٧- ١٩٣٢ م نقطة البدء الحقيقة لعلم الاجتماع الصناعي بمفهومة العلمي الحديث .

فقد كشفت لأول مرة عن أهمية التنظيمات غير الرسمية في محيط العمل الصناعي ، وأظهرت أن معدلات الانتاج لا تتأثر بالظروف الفيزيقية وحدها ، أو بطول ساعات العمل اليومي والأسبوعي فقط ، و أنما تتأثر بما يسود بيئة العمل من علاقات و روابط اجتماعية .

وقد اجريت محاولة التون مايو (Elton Mayo)وأعوانه في شركة وسترن إليكتريك (Western Electric)بمصنع (Hawthorne)بمدينة شيكاغو أولى المحاولات المكثفة لدراسة أثر العوامل المادية للعمل على الكفاية الإنتاجية للعاملين وقد بدأت هذه التجارب بمحاولة ترمي إلى اختبار العلاقة بين كثافة الإضاءة والكفاية الإنتاجية للعاملين وجاءت النتائج غير متوقعة، مؤكدة وجود متغير جديد وهو الروح المعنوية للعمال ودرجة الانسجام والوئام القائمين بين المجموعة العاملة ولذا أجريت تجربة أخرى على متغير آخر ترمي إلى اختبار أثر الراحات ومدتها على الكفاية والإنتاجية، فتكررت النتائج غير المتوقعة التي تؤكد تأثر الإنتاجية أساساً بالحالة المعنوية للعمال فأجريت تجربة ثالثة لاختبار أثر تغيير طريقة دفع الأجور على الكفاية الإنتاجية وتكررت النتائج غير المتوقعة والتي تؤكد أن الإنتاجية ترتبط إيجابياً بالظروف الاجتماعية والنفسية للعاملين أكثر مما ترتبط بالتغييرات المادية التي تدخل على ظروف وأحوال العمال وقد توصلت تجارب هاوثورن إلى النتائج التالية :

١- ميل الافراد العاملين في وحده انتاجيه واحده الى تكوين تنظيمات غير رسميه فيما بينهم .

٢- تأثر تصرفات الافراد داخل التنظيم بالإطار الذي ترسمه لهم الجماعه .

٣- ان الحوافز المعنوية تقوم بدور حيوي في تحفيز الافراد للعمل .

٤- ان طاقه الفرد للعمل لا تتحدد طبقا لطاقته الفسيولوجية وإنما ايضا طبقا لطاقته الاجتماعية من حيث شعوره بالرضا والتفاهم القائم بينه وبين رؤساته من ناحية ودرجه التعاون مع زملائه في العمل من ناحية اخرى .

٥- دور القياده غير الرسميه في التأثير على سلوك الافراد داخل التنظيم من حيث تكوين الجماعات ونمط العلاقات بينهم .

ولذا فليس من المغالاة في شيء أن نعتبر ان تلك التجربة بما أسفرت عنه من نتائج علمية هي نقطة البداية لعلم الاجتماع الصناعي .